أثر التكرار في توجيه المعنى

" دراسة سياقية في حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير القاضي البيضاوي".

إعداد

سمية السيد حسين عبد الله

الملخص:

التكرار أسلوبٌ من أساليب البلاغة ،ووجهٌ من وجوه الإعجاز القرآني. له وظائفٌ تتنوع بتنوع سياقات الاستعمال،فوظائفه دينية وأدبية ونصية وجمالية،ومن أنماطه تكرار الحرف والكلمة والجملة.وله أسرارٌ بلاغية كثيرة،استطاع الشهاب الكشف عن بعضها في حاشيته،كالتقرير والتنبيه والتعجب والاستهزاء،وتعدّ المتشابهات اللفظية نمطًا من أنماط التكرار في الجملة،وقد وضّح الشهاب الفروق الجوهرية لنماذج منها في ضوء السياق القرآني.

الكلمات المفتاحية : التكرار – السياق- الحاشية- المتشابه اللفظي- تفسير البيضاوي.

Abstract:

Repetition is one of the methods of rhetoric, the merits of eloquence, and a face of the Qur'anic miracle. It has functions that vary in the diversity of the contexts of use, and its religious, literary, text and aesthetic functions, and its patterns are the repetition of the letter, the word and the sentence. And alert, exclamation and mockery, and verbal similarities are a pattern of repetition in the sentence, and Al -Shihab has clarified the fundamental differences of models of them in the light of the Quranic contex.

المقدمـــة :

يعدُّ التكرار في البيان القرآني مزية بيانية،وقيمة بلاغية،وسموًا تعبيريًّا،وأسلوبًا فنّيًا عاليًا؛فهو تكرار حكيم مقصود،وأسلوب بلاغيّ رائع،وهو مظهر من مظاهر الإعجاز.

ويهدف هذا البحث إلى :

- التعرف على جانب بلاغي مهم من إعجاز القرآن المتمثل في ظاهرة التكرار.
- الكشف عن أسرار التكرار البلاغية في الحاشية في ضوء السياق القرآني.
- تسليط الضوء على الشهاب الخفاجي،وعلى حاشية من أفضل الحواشي التي كتبت على تفسير القاضي البيضاوي.
- الوقوف أمام هجوم المعاندين على أسلوب القرآن المتمثل في التكرار،والدفاع عنه.

وقد كانت الدراسة التطبيقية لهذه الظاهرة في الحاشية خلال مجموعة من السور،وهي(الأنعام والأعراف والأنفال والتوبة). وقد اعتمد البحث في دراسة هذه الظاهرة على المناهج الآتية: المنهج الاستقرائي:- من خلال جمع الألفاظ ،والتراكيب المكرّرة الواردة في السور مجال البحث،وجمع المادة العلمية المتعلّقة بثمار التكرار فيها. والمنهج التحليلي:- من خلال تحليل الآيات تفسيريًا من خلال حاشية الشهاب الخفاجي؛للوصول إلى نتائج الدراسة. والمنهج الاستنباطي:- من خلال استنتاج واستنباط ثمرة التكرار في كلّ موضع من المواضع التي تمّت دراستها.

وقد قُسِّم البحث إلى تمهيد: يوضح تعريف التكرار لغة واصطلاحًا.ووظائفه،و أنواعه،وأسراره البلاغية. و مطلبين؛المطلب الأول:نماذج تطبيقية توضح أثر التكرار في المعنى،وأسراره البلاغية.

والمطلب الثاني :نماذج تطبيقية توضح أثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي في الحاشية. و خاتمة،بها أبرز النتائج.

التمهيد:

التكرار لغة من الكرّ بمعنى الرُّجُوعُ وَبَابُهُ رَدَّ. يُقَالُ: (كَرَّهُ) وَ(كَرَّ) بِنَفْسِهِ يَتَعَدَّى وَيَلْزَمُ. وَكَرَّرَ الشَّيْءَ (تَكْرِيرًا) وَ(تَكْرَارًا) أَيْضًا بِفَتْحِ التَّاءِ وَهُوَ مَصْدَرٌ وَبِكَسْرِهَا وَهُوَ اسْمٌ.

(الرازي،1999م،ص268)، ويأتي بمعنى الإعادة،فكرّره أي أعاده مرة بعد أخرى (ابن منظور،1989م،ج135/5).

واصطلاحًا هو تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة ما،وذلك إمّا للتوكيد أو لزيادة التنبيه،أو التهويل أو التعظيم (الزركشيّ،1957م،ج211/1).

وهو أن يأتي المتكلم بلفظ ثمّ يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أم مختلفًا،أو يأتي بمعنى ثم يعيده.وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني،فإن كان متحد الألفاظ والمعاني،فالفائدة في إثباته،تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس،وكذلك إذا كان المعنى متحدًا.وإن كان اللفظين متفقين والمعنى مختلفًا،فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين (بدوي،طبانة،1997م،ص585).

وقد ورد في القرآن الكريم على وجهين:موصول،ومفصول، أمّا الموصول فقد جاء على وجوه متعددة مثل؛ تكرار كلمات في سياق الآية، كقوله تعالى:(هيهات هيهات لما توعدون)(المؤمنون:36)،وإمّا في آخر الآية وأوّل التي بعدها،كقوله تعالى :(ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرًا.قواريرا من فضة قدروها تقديرًا)(الإنسان:15و16)،أو في أواخرها كقوله تعالى:(كلا إذا دكت الأرض دكًّا دكًّا)(الفجر،21)،وإمّا تكرار الآية بعد الآية مباشرة،كقوله تعالى(فإنّ مع العسر يسرًا.إنّ مع العسر يسرًا)(الشرح،5و6)،وأمّا المفصول فيأتي على صورتين إمّا في السورة نفسها كتكرار قوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) (الرحمن :13)واحد وثلاثين مرة،أو في القرآن كاملًا (منكل،يارزمان،2011م ص11).

والتكرير أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة،خلافًا لبعض من غلط فأنكر ذلك،ظنًا أن لا فائدة له وليس كذلك ،بل هو من محاسنها لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض؛وذلك أنّ عادة العرب في خطاباتها إذ أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كرّرته توكيدًا (الزركشي،1957م،ج10/3).

ومن فوائده و أغراضه:التقرير،والتعجب،وزيادة التنبيه،ومنه ما كان لتعدّد المتعلق؛ بأن يكون المكرّر ثانيًا متعلقًا بغير ما تعلّق به الأول،ويسمى ترديدًا، ومنه إذا طال الكلام ،وخشي تناسي الأول أعيد ثانيًا تطرية له، وتجديدًا لعهده.(السيوطي،2006م،ج170/2و171)،والتأكيد والتأسيس والتهديد والوعيد والتغليظ،والتذكير،والتعظيم،وتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم،ودفع التوهم في العبارة،وتثبيت الموقف المكرّر في الأذهان،والإفهام،والبرهنة على الإعجاز،ومراعاة

العرف العربي والتنغيم (منكل،يارزمان،2011م،46: 64بتصرف)،وتجديد العهد،واستنفاذ الطاقة الانفعالية (الطبطبائي،ص15).

والتكرار في القرآن أمر واقع لا شك فيه،سواء ظهرت لنا الحكمة من وراء هذا التكرار أم لم تظهر،والتكرار في القرآن يقع على وجوه،فهناك ذكر للقصة الواحدة في أكثر من موضع،وهناك تكرار في الآية الواحدة،وتكرار في اللفظ الواحد،وهناك تكرار في الأوامر والنواهي،ونحو ذلك إلا أنّ التكرار الواقع في القرآن الكريم يباين التكرار في كلام البشر؛إذ إنّ هذا الأخير لا يسلم عادة من القلق،والاضطراب،ويعدّ عيبًا في الأسلوب، ويعاب عليه الكاتب.والتكرار في القرآن محكم (منكل،يارزمان،2011م،ص13و14)،وهو تكرار في اللفظ لم يستتبع تكرارًا في المعنى (عبد المقصود،حسن،2010م،ص13).

والتكرار ذو وظائف يؤديها في النص القرآني ووظائفه: دينية،وأدبية،ودلالية،وجمالية،ونصية.

فوظيفته الدينية غايتها تقرير،وتأكيد الحكم الشرعي الذي جاء به النص القرآني. ووظيفته الأدبية تتمثل في تأكيد المعاني ،وإبرازها،وبيانها بالصورة الأوفق والأنسب والأقوم، (زقزوق،محمود،2004م،ص79).

ووظيفته الدلالية تعني بتوضيح المعنى،وتبيين التفسير.

ووظيفته الجمالية تعني بموسيقية الإيقاع والأصوات.

ووظيفته النصية تعني بالتماسك والانسجام والشمولية (الطبطبائي،ص55)

ووظائف التكرار وآثاره تختلف ضرورة،وتتنوع بتنوع سياقات الاستعمال.قال ابن الأثير:"ليس شيء في القرآن مكرر لا فادة من تكريره،فإن رأيت شيئًا منه تكرّر من حيث الظاهر،فأنعم النظر فيه،وانظر إلى سوابقه ولواحقه؛لتنكشف لك الفائدة منه" (ابن الأثير،1997م،ج8/3)

ويمثل التكرار في واقع البحث اللغوي المعاصر أحد وسائل التماسك في عالم النص،على أنّه أحد وجوه الإحالة إلى سابق،والتي من شأنها إحداث التماسك والربط بين الوحدات المكونة للنص. (عبدالمجيد،جميل،1998م، ص79،ومبروك،جودة،2008م،ص25).

ويرى د/سعد مصلوح أنّ التكرار هو أظهر وسائل السبك ،وأدناها إلى الملاحظة المباشرة في ظاهر النص (مصلوح،2003م،ص237).

وقد عرّفه هاليداي ورقية حسن على أنّه التماسك الناتج من الطريقة التي أُلِّفت

بها المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر،فهو ربط إحالي يقوم على مستوى المعجم (شبل،عزة،2007م،ص 105 ومبروك،2008م،ص25). إنّ إعادة العنصر المعجمي ذاته أو بدلالته يشكل إلحاحًا على المتلقي للتعايش مع الجو النفسي والانفعالي المحدَث من قبل هذا الإجراء،وإذا توافر الصوت المتكرّر،وأحدث نوعًا من النغمة المتوافقة مع سابق لها،فإنّه يكون أدعى إلى ملاحظته دون غيره من أنماط التماسك الأخرى،وهو ما عبّر عنه قدامى البلاغيين بالتحسين الصوتي،فتتهيأ له الفرصة ليكون ظاهرًا للعيان (مبروك،2008م،ص26).

ويسهم التكرار في ربط عناصر النص المتباعدة،وتحقيق استمراريته وتلاحم عناصره (الفقي،2000ج22/2).كما يعدّ من المفاتيح التي يمكن أن تساعد على اقتناص خيط من خيوط النص التي يراد فكّها تركيبيًا لإعادة نسجها دلاليًا (عبداللطيف،محمد،2001م،ص187)،فيصنع في النص نوعًا من التماسك الخاص،وضربًا من انسجام الخطاب فيه (عبداللطيف،2001م،ص 187، وخطابي،2006م،ص179، وموسى،أيمن،2015م،ص67و68).

كما أنّه أحد الوسائل المنوط بها توصيل رسالة المبدع كما يريدها إلى المتلقي،ويقوم الأخير بدوره في محاولة لاستكشاف عالم النص؛لتلقّي فحواه،بناء على خبرته في أنّ رسالة المبدع تنطوي على محتوى معيّن،وذات وظيفة دلالية،وهو ما يعرف بنظرية القارئ ،أو نظرية التلقي (مبروك،2008م،ص26).

هذا وقد قسّم العلماء التكرار تقسيمات عديدة،وقد قسّم الإمام ابن النقيب التكرار إلى ثلاثة أقسام؛

1- ما يتكرر لفظه،ومعناه متّحد،كقوله تعالى(فقتل كيف قدر.ثم قتل كيف قدر)(المدثر:19و20).
2- ما تكرّر لفظه،ومعناه مختلف،كقوله تعالى(ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين.ليحق الحق ويبطل الباطل)(الأنفال،7و8).

ما تكرّر المعنى دون اللفظ؛فهو إمّا أن يكون بين المعنيين مخالفة ما،أو لا يكون كذلك. والذي يكون بينهما مخالفة إمّا أن يكون أحدهما أعم،أو لا يكون كذلك. فأمّا ما يكون أحدهما أعمّ فكقوله تعالى:(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(آل عمران الآية104)،فإنّ الدعوى إلى الخير أعمّ من الأمر بالمعروف (ابن النقيب،1909م،ص112).

وقد اتفق العلماء أنّ للتكرار في القرآن ثلاثة أنماط تكرار الحرف،وتكرار اللفظ،وتكرار الجملة.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما أسرار التكرار التي تجلّت في حاشية الشهاب؟ والإجابة عن هذا السؤال تقتضي دراسة بعض النماذج القرآنية.

المطلب الأول:نماذج توضح أنماط التكرار في حاشية الشهاب الخفاجي:

قال تعالى:(وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ .....)(الأنعام87و88)

ذكر البيضاوي أنّ قوله تعالى: (وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) تكرير إلى ما هدوا إليه (الخفاجي،1997م، ج145/4).

ويرتبط قوله تعالى(وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) بالآيات السابقة لهذه الآية الكريمة ؛فقد ذكر الله تعالى تفضلّه على أنبيائه بالهداية ،فذكر تعالى هدايته لإبراهيم وإسحاق، ويعقوب ونوح عليهم السلام،ثم هدايته لذرية نوح عليه السلام؛ داود وسليمان و أيوب، وزكريا ويحيى وعيسى، وإلياس وإسماعيل، واليسع ،ولوط عليهم السلام؛ فقد فضّلهم الله على العالمين بالنّبوة.

وفي هذه الآية الكريمة هدى الله أيضًا من آباء هؤلاء الذين سمّاهم تعالى ذكره آخرين سواهم، لم يسمهم، للحق والدين الخالص الذي لا شرك فيه، فوفّقهم له، واختارهم لبلاغ رسالته إلى من أرسلهم إليهم.وسدّدهم فأرشدهم إلى طريق غير معوجّ، وذلك دين الله الذي لا عِوَج فيه، وهو الإسلام الذي ارتضاه الله ربُّنا لأنبيائه، وأمر به عباده.

وهذا الهدي الذي هدى الله به من سمّى من الأنبياء والرسل، هو توفيق الله ولطفه، الذي يوفّق به من يشاء، ويلطف به لِمَن أحب من خلقه، حتى ينيب إلى طاعة الله، وإخلاص العمل له، و إقراره بالتوحيد (الطبري،2000م،ج512/11: 514 بتصرف).

وقد وضّح الشهاب دلالة التكرير بأنّه لبيان ما هدوا إليه،؛لأنّ المهديّ إليه لم يتكرّر والمكرّر الهداية.وقوله تعالى (ذلك هدى الله) إشارة إلى الهداية إلى الطريق المستقيم (الخفاجي،1997م، ج514/4).

إذن تكرّر لفظ الهداية ،والهدى ،ويهدي، فقد أعيدت أصل البنية،مع وجود

اختلاف في شكل الصيغة بين الفعل الماضي (وهديناهم)،ثم المصدر(هدى)،ثم الفعل المضارع (يهدي)،والعلاقة بين هذه الالفاظ علاقة شبه مطابق، والتكرار لبيان ما هدوا إليه.

وهذا التكرار تكرار لفظي جزئي،حيث أعيد الجذر اللغوي للكلمة،وهو تكرار يضفي على النص تنوعًا وبعدًا عن الرتابة (أبو غزالة،وحمد،علي.1999م،ص85). وهذا التكرار الجزئي يعدّ وحدة من الوحدات التي تعمل على تماسك النص،فالمادة اللغوية المعادة تحمل قدرًا من الصورة الصوتية للكلمة السابقة،كما تشترك معها بقدر ما في الدلالة مع احتفاظها بما يحقق لها خصوصيتها في السياق (مبروك، 2008م، ص72).

وقال تعالى:(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ) (الأعراف:92) تكرّر(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا) والمعنى الذين كذّبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين دينًا ودنيا، لا الذين صدّقوه و اتبعوه كما زعموا ؛فإنّهم الرابحون في الدارين.وللتنبيه على هذا المعنى،والمبالغة فيه كرّر الموصول،واستأنف بالجملتين،و أتى بهما اسميتين (الخفاجي،1997م،ج326/4).

وقد استشهد الشهاب بما قاله الزمخشري أنّ هذا الاستئناف،والابتداء،وهذا التكرير مبالغة في ردج مقال الملأ لأشياعهم،وتسفيه لرأيهم،واستهزاء بنصحهم لقومهم،واستعظام لما جرى عليهم (الزمخشري،1986م،ج131/2).

ويضيف الشهاب بأنّ القصد الرد عليهم في أنّ من اتّبع شعيبًا عليه الصلاة والسلام خاسر،بأنّ الخاسر إنّما هو هم ؛لأنّ لهم الخسران الديني والدنيويّ على أبلغ وجه،كرّر الموصول من غير عطف؛لأنّه بيّن أولًا هلاكهم،حتى كأنّهم لم ينزلوا قط في ديارهم،وأنّهم خسروا خسرانًا عظيمًا،وسفه رأيهم بأنّ الخسران في تكذيبه،لا في اتّباعه كما زعموا،واستهزأ بأنّ ما جعلوه نصيحة صار فضيحة أثرها في الدنيا كالعقبى، ومن عادة العرب الاستئناف من غير عطف في الذم والتوبيخ،فيقولون أخوك الذي نهب مالنا أخوك الذي هتك سترنا ،ويطلب الشهاب من القارئ تأمل ما يقول.(الخفاجي،ج327/4) إذن التكرير للتنبيه على المعنى كما وضّحه البيضاويّ والشهاب،وللمبالغة والتسفيه،والسخرية والاستهزاء،والذم والتوبيخ.

وقال تعالى:(أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ. أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ. أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

ٱلْخَٰسِرُونَ)(الأعراف:97و98و99)

تكرّرت جملة (أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ)،وجملة (أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ) مع اختلاف حرف العطف الذي دخلت عليه همزة الإنكار. والسؤال ما المعطوف عليه؟ ولِمَ عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ المعطوف عليه قوله تعالى (فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) في قوله تعالى(ثمّ بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون)(الأعراف:95)، وقوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى) إلى (يَكْسِبُونَ) وقع اعتراضًا بين المعطوف والمعطوف عليه. و إنما عطف بالفاء؛لأنّ المعنى: فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتًا ،وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى؟

وَقَوْلُهُ تعالى:(أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ) تَكْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ) القصد منه إنكار أن يقع بعد أخذ قوم شعيب عليه الصلاة والسلام أمن لأهل القرى بل يجيئهم البأس بياتًا،ويجيئهم البأس ضحًى من غير اعتبار ترتيب بينهما،فبالضرورة كان عطف الأولى بالفاء،والثانية بالواو،والهمزة لإنكار أن يقع بعد ذلك الأخذ هذان الأمران. (الخفاجي، 1997م، ج331/4،والزمخشري،1986م، ج134/2).

ويفرض الشهاب سؤالًا، ويجيب وفقًا لما يفرضه سياق الآيات.

والسؤال هو: هلّا جعل المعطوف عليه قوله تعالى:(فأخذناهم بما كانوا يكسبون)،وهو فاصلة الآية السابقة لقوله تعالى (أفأمن أهل القرى...)-ونص الآية قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)(الأعراف:96)-،وهو أقرب؟

ويجيب: إنّ مساق (ولو أنّ أهل القرى) إلى قوله تعالى(يكسبون) مساق التكرير والتأكيد،بخلاف ما قبله،فإنّه لبيان حال القرى،وقصة هلاكها قصدًا،فالعطف عليه أنسب وإن كان هذا أقرب،وهذا على تقدير أن يراد بالقرى المدلول عليها بما سبق،وأمّا إذا أريد بها مكة وما حولها فوجهه ظاهر؛لأنّ منشأ الإنكار الأمم السابقة ،لا ما أصاب أهل مكة ،ومن حولها من القحط وضيق الحال، (الخفاجي،1997م،ج331/4).

وتكرير(أفأمنوا مكر الله) تكرير لما سبق على طريقة الجمع بعد التقسيم قصدًا إلى زيادة التحذير والإنذار (الخفاجي،ج332/4).

وقد جعل ابن عاشور التكرير لتَقْرِيرُ التَّعْجِيبِ مِنْ غَفْلَتِهِمْ ،وَتَقْرِيرُ مَعْنَى التَّعْرِيضِ بِالسَّامِعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَ زِيَادَةِ التَّذْكِيرِ بِأَنَّ مَا حَلَّ بِأُولَئِكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يُمَاثِلُ هَيْئَةَ

مَكْرِ الْمَاكِرِ بِالْمَمْكُورِ فَلَا يَحْسَبُوا الْإِمْهَالَ إِعْرَاضًا عَنْهُمْ، وَلْيَحْذَرُوا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَفِعْلِ الْمَاكِرِ بِعَدُوِّهِ (ابن عاشور،1984م، ج9/ 24).

إذن في هذا الشاهد القرآني تكرّرت الجمل (أفأمن أهل القرى)و(أوأمن أهل القرى) تكرارًا جزئيًا ،نوعه الإعادة بالعطف،وهو من وسائل تكرار الجذر اللغوي الواحد،وقد أعطى إيحاءًا بخلاف نوعي بين المعطوفين (مبروك،2008م،ص82).كما تكرّرت جملة (أفأمنوا مكر الله)،وهي تكرير لجملة(أفأمن أهل القرى) ؛للإنذار والتحذير ،وتقرير التعجيب من حال المشركين، والتعريض بهم.

وفي قوله تعالى:(وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ. لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ)(الأنفال:7و8)

ذكر البيضاويّ في قوله تعالى(لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ) أنّ المعنى فعل سأفعل،وليس بتكرير؛لأنّ الأوّل لبيان المراد،وما بينه وبين مرادهم من التفاوت،والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول صلّى الله عليه وسلّم على اختيار ذات الشوكة،ونصره عليهم.

وقد علّق الشهاب بأنّه لمّا كان يتراءى منه أنّه تكرار كقولك أريد أن أكرم زيدًا لإكرامه، وهو لغو وليس هذا بناء على تعلقه بيحق أو يريد كما يتوهم ،بل هو ممّا يقتضيه الكلام؛ لأنّ فعل الشيء لأجل شيء آخر يقتضي إرادة ذلك الشيء الآخر منه، فيؤول معناه إلى ما ذكر، أجيب بأنّ قوله {يُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ} لبيان الفرق بين إرادته تعالى وارادة القوم؛ بأنّه يريد إثبات الحق وما هو من معالي الأمور، وهم يريدون الفائدة العاجلة، وما هو من سفسافها، وقوله ليحق الحق؛ لبيان أنّه فعل ما فعل من نصرة المؤمنين وخذلان المشركين لهذا الفرض الصحيح ،والحكمة الباهرة ؛وهو إثبات الحق و إبطال الباطل. فالحاصل أنّ الأوّل بيان إرادة الله مطلقًا ،وهذه الإرادة خاصة، وفيه مبالغة، وتأكيد للمعنى بذكره

قيل إنّه لا يخفى أنّ بيان أنّه تعالى أراد أن يحق الحق، ويبطل الباطل في قوّة أنّه أراده بما فعله .فبعد تسليم أنّ مثل هذا لا يعد تكرارًا لا محيص عن حصول الغنية بالأوّل عن الثاني .

أمّا على ما ذهب إليه الزمخشريّ (1986م،ج200/2) من تقدير المتعلق مؤخرًا ليفيد التخصيص، فيكون مصبّ الفائدة هو الحصر في ذلك ،وبه يتم الفرق ،فكان على المصنف رحمه الله أن يذكره.

إذن الشهاب لا يسلّم بكل ما يقوله البيضاوي ،بل ينتقده كهذا الشاهد القرآنيّ فقد ذكر الشهاب رأي الزمخشريّ الذي يتأثر به البيضاويّ كثيرًا، ولكنه أغفل ذكر تقدير المتعلق مؤخرًا، فانتقده الشهاب .

كما أنّ سياق الآية دلّل على أنّ قوله تعالى(لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ) ليس بتكرارٍ،وإن كان ظاهره تكرارًا. لأنّ المعنيين متباينان، وذلك أنّ الأوّل تمييز بين الإرادتين، وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها، و أنّه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض (الزمخشري، 1986م، ج200/2).

ويكشف لنا ابن عاشور بلاغة قوله تعالى(لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ)،فَفَائِدَةُ قَوْلِهِ: (وَيُبْطِلَ الْباطِلَ) التَّصْرِيحُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى بِالْبَاطِلِ، فَكَانَ ذكره بَعْدَ قَوْلِهِ: (لِيُحِقَّ الْحَقَّ) بِمَنْزِلَةِ التَّوْكِيدِ لِقَوْلِهِ (لِيُحِقَّ الْحَقَّ)؛ لِأَنَّ ثُبُوتَ الشَّيْءِ قَدْ يُؤَكَّدُ بِنَفْيِ ضِدِّهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (قَدْ ضَلُّوا وَما كانُوا مُهْتَدِينَ) [الْأَنْعَام: 140] .كما يظهر أيضًا جناس الاشتقاق بين يبطل الباطل،ويحق الحق،وكذلك المقابلة بين الجملتين.

إذن هذا الشاهد القرآني ممّا تكرّر لفظه،واختلف معناه.

وتكرّر الاستفهام بكيف في قوله تعالى(كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ)(التوبة:8)

وهو تكرار لقوله تعالى(كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ) (التوبة:7)

فما دلالة التكرار؟

وضّح البيضاوي أنّ التكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد،أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلّة،وحذف الفعل للعلم به.ويرى الشهاب أنّ الفعل المحذوف بعد كيف إن كان ما تقدّم فهو تكرار للتأكيد،والتقدير كيف يكون لهم عهد أي يثبتون عليه. أو المراد استبعاد بقاء الحكم،وهو وفاء الله والرسول صلّى الله عليه وسلّم لهم به،وترك قتالهم ونحوه، والتنبيه على العلة مأخوذ من قوله تعالى(وإن يظهروا)؛أي علة استبعاد ذلك و إنكاره،وهي أنّ الله علم،وقد دلّت الإمارات على ذلك أنّ عهودهم إنّما هي لعدم ظفرهم بكم،ولو ظفروا لم يبقوا ولم يذروا،فمن كان أسير الفرصة مترقبًا لها كيف يرجى منه دوام عهدٌ؟ ويطلب الشهاب من القارئ أن يتدبّر كلامه (الخفاجي،1997م،ج527/4).

إذن التكرار للتأكيد أو الاستبعاد أو التنبيه.

وفي قوله تعالى :(ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ أَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ)(التوبة:26)

أعيد الجار فما دلالة ذلك؟

بادئ ذي بدء لابد من تدبّر الآيتين هذه وسابقتها لفهم المعنى. قال تعالى(لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)(التوبة:25)

إذن سياق الآيتين غزوة حنين حيث يوجد فريقان من المؤمنين فريق فرّ من العدوّ،وفريق ثبت مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،وقد أنزل الله تعالى سكينته والطمأنينة على قلب النبي صلى الله عليه وسلّم، وعلى المؤمنين.

وقد ذكر الشهاب أنّه لمّا كان الأصل عدم إعادة الجار ففي مثله إشارة إلى نكتة؛وهي بيان التفاوت بين المؤمنين فإنّهم قلقوا واضطربوا حتى فرّوا،فكانت سكينتهم اطمئنان قلوبهم،وهو صلّى الله عليه وسلّم،ومن معه ثبتوا من غير اضطراب فسكينتهم بمعاينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم الملائكة،وظهور علامات ذلك لمن معه (الخفاجي، 1997م، ج548/4).

وفي هذا الشاهد القرآنيّ أخذ التكرار المباشر صورة أخرى للتماسك،وذلك باستخدام حرف من حروف المعاني وهو حرف الجر (على)،وقد بيّن الشهاب النكتة في تكراره .

ولتكرار الحرف دور تعبيري و إيحائي ،كما أنّه يحدث إيقاعًا خاصًا،يشدّ انتباه المتلقي (زروقي،2016م،ص137).

وهذا التكرار هو النوع الثالث من صور التكرار المباشر الكلّي في القرآن،فهناك تكرار بالحرف،والكلمة،والجملة.

وتنقسم الجملة المكرّرة في القرآن إلى قسمين:

جملة مكرّرة تكرارًا كليًّا،ولم يقع في أحد أجزائها تغيّر.

وجملة مكرّرة تكرارًا كليًا،ووقع في أحد أجزائها تغيّر،وهذا التغيّر على أنواع يمكن حصرها فيما يلي؛

تغير في الصيغة،وتغيّر في الإفراد والجمع،وتغيّر في التذكير والتأنيث،وتغيّر في التعريف والتنكير،وتغيّر في اختيار الحروف،وتغيّر في الذكر والحذف،وتغيّر في التقديم والتأخير،وتغيّر في الفصل والوصل.

وهذا النوع الذي يقع فيه التغيير،يعرف بالآيات المتشابهات عند المختصين في علوم القرآن (الطبطبائي،ص10).

المطلب الثاني:نماذج من المتشابهات اللفظية في حاشية الشهاب الخفاجي:

في قوله تعالى: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ)(الأنعام:102) و قوله تعالى(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ)(غافر:62) يطرح الشهاب سؤالًا ،وهو لِمَ قُدِّم ها هنا(يقصد في الأنعام) قوله (لا إله إلا هو) على قوله (خالق كلّ شيء)،وعكس في سورة مؤمن(يقصد غافر)؟ وقد أجاب محتكمًا إلى السياق قائلا :"لأنّ هذه الآية جاءت بعد قوله (وجعلوا لله شركاء...)(الأنعام:100) ،فلمّا قال تعالى(ذلكم الله ربكم) أتى بعده بما يدفع الشركة،فقال تعالى(لا إله إلا هو)،ثمّ قال (خالق كلّ شيء)،وهناك(في غافر) جاء بعد قوله تعالى(لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(غافر:57).

فكان الكلام على تثبيت خلق الناس،وتقريره لا على نفي الشركة عنه،كما كان في الآية الأولى،فكان تقديم خالق كلّ شيء هناك أولى (الخفاجي،1997م،ج172/4).

يتبين من كلام الشهاب أنّه في آية الأنعام قدّم ما الأمر عليه من وحدانيته سبحانه،وتعاليه عن الشركاء والولد،فقال:(لا إله إلا هو)،وعرف العباد بعد بأنّ كل ما سواه سبحانه خلقه وملكه،فقدّم الأهم في الموضع. وفي غافر لمّا تقدّم ذكر الخلق الأعظم،ولم يتقدّم في آية غافر ما تقدّم في آية الأنعام ما أتبع بالتنبيه على أنّه سبحانه خالق كل شيء،فكان تقديم هذا التعريف هنا أنسب وأهم،ثمّ أعقب بالتعريف بوحدانيته تعالى،فجاء كلّ على ما يجب ويناسب،ولم تكن واحدة من الآيتين لتناسب ما تقدّم الأخرى،والله سبحانه أعلم (الغرناطي،ص167و ،168،والكرماني،ص112).

وفي قوله تعالى:(فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن

كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ)(الأعراف:77و78) في قصة نبي الله صالح مع قومه(ثمود)،اهتمّ الشهاب الخفاجي في ردّ شبهة بعض الملاحدة،وطعنهم في كتاب الله،بأنّ القصة واحدة، وقد ذكر الله تعالى فيها هنا(فأخذتهم الرجفة)،وفي موضع آخر الصيحة،وهو قوله تعالى:(فأخذتهم الصيحة مصبحين)(الحجر:83)،وفي موضع آخر الطاغية،وهو قوله تعالى: (فأمّا ثمود فأهلكوا بالطاغية)(الحاقة:5)،وقد ظنّ الملاحدة أنّ بين ذلك منافاة.

والأمر ليس كما زعموا؛فإنّ الصيحة العظيمة الخارقة للعادة حصل منها الرجفة لقلوبهم،والرجفة أي الزلزلة، وأمّا الإهلاك بذلك فسببه طغيانهم،وهو معنى قوله تعالى(بالطاغية) (الخفاجي، ج312/4).

وفي قوله تعالى:(وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ)(الأعراف:161)

وقوله تعالى:(وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ)(البقرة:58)

بداية القصة واحدة،والتعبير فيها مختلف من وجوه (النعماني،1998م، ج353/9و354): أحدها: أنَّهُ عيَّن القائل في سورة البقرة، فقال وإذْ قُلْنا وههنا أبهمه فقال وَإِذْ قيلَ.

وثانيها: قال في سورة البقرة «ادخلوا» وقال هاهنا «اسكنوا» .

وثالثها: قال في سورة البقرة (فَكُلوا) بالفاء، وههنا بالواو.

ورابعها: قال هناك (رَغَدًا)، وأسقطها ههنا.

وخامسها: قدَّم هناك قوله {وادخلوا الباب سُجَّداً} على «وقولُوا حِطَّةٌ» وههنا على العكس.

سادسها: قال في البقرة {نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ} [البقرة: 58] وههنا «خطِيئَاتِكُمْ» .

وسابعها: قال هناك: «وسَنزِيدُ المُحْسنينَ» بالواو، وههنا حذفها.

وقد اهتمّ الشهاب في آية الأعراف بالحديث عن دلالة العطف بالواو، ولماذا اختلف عن العطف بالفاء في قوله تعال(وكلوا منها حيث شئتم)،ثم الحديث عن ترك حرف العطف الواو في قوله تعالى(سنزيد المحسنين).

ذكر الشهاب أنّه إذا تفرّع المسبب على السبب اجتمعا في الوجود،فيصح الإتيان بالفاء والواو،إلا أنّه قيل إنّ الواو أدلّ على جودة ذهن السامع،وأنّه مستغنٍ عن التصريح بالترتيب،واستدلّ بكلام صاحب اللباب حيث قال:أتى بالفاء في البقرة؛لأنّه

تعالى قال:(ادخلوا)؛فحسن ذكر التعقيب معه،وهنا (في الأعراف) قال: (اسكنوا)، والسكنى أمرٌ ممتد،والأكل معه،لا بعده.

وذكر (رغدًا) هناك؛لأنّه في أوّل الدخول يكون ألذ،وبعد السكنى واعتياده لا يكون كذلك ،وهو حسنٌ جدًّا (النعماني،ج354/9).

وقال البيضاويّ :(وكلوا منها حيث شئتم رغدًا وادخلوا الباب سجدًا)مثل ما في سورة البقرة معنًى،غير أنّ قوله(فكلوا) فيها بالفاء؛أفاد تسبب سكناهم للأكل منها،ولم يتعرّض له ههنا اكتفاء بذكره ثمّة، أوبدلالة الحال عليه،وأمّا تقديم قوله(قولوا) على (وادخلوا) فلا أثر له في المعنى؛لأنّه لم يتوجب الترتيب،وكذا الواو العاطفة بينهما (الخفاجي، ج388/4و389).

وفي قوله تعالى:(نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين) ذكر البيضاوي:وعد بالغفران والزيادة عليه بالإثابة،وإنّما أخرج الثاني مخرج الاستئناف،للدلالة على أنّه تفضل محض، ليس في مقابلة ما أمروا به (الخفاجي،ج389/4).

ووضّح الشهاب الآتي،مفعول سنزيد محذوف تقديره ثوابًا، وإنّما أخرج الثاني أي قوله تعالى(سنزيد المحسنين)،وليس هذا غفولًا عن الواو الجامعة بينهما في البقرة الدّالة على التشريك في المقابلة كما قيل؛لأنّ المراد أنّ امتثالهم جازاه الله بالغفران،وزاد عليه،وتلك الزيادة محض فضل منه،فقد يدخل في الجزاء صورة لترتبه على فعلهم،وقد يخرج عنه؛لأنّه زيدة على ما استحقوه،كما أنّه إذا أقرض أحدًا عشرة،فقضاه خمسة عشر،فإنّه يقال إنّ الخمسة عشر قضاء أو العشر قضاء،والخمسة فضل وإحسان؛لذا قرأ بالسين الدالة على أنّه وعدٌ وتفضل. (الخفاجي،ج389/4).

وفي قوله تعالى:(كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)(الأنفال:52)

و قوله تعالى: (كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ)(الأنفال:54) نجد تكرارًا،وتشابهًا بين الموضعين فما دلالة هذا التكرار؟

وضّح البيضاويّ أنّ التكرير للتأكيد،ولَمَا نيط به من الدلالة على كفران النّعم بقوله تعالى(بآيات ربهم)،وبيان ما أخذ به آل فرعون.وقيل الأول لتشبيه الكفر،والأخذ به،والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم (الخفاجي،ج493/4) .

ويعلّق الشهاب على ما ذكره البيضاويّ،موضحًا العلة في التعبير بقوله تعالى

(ربّهم)،وليس(الله) قائلا:"قوله: (تكرير للتأكيد ولما نيط به إلخ) أي لم علق بالثاني تعليقًا معنويًا أي ذكر معه، والحاصل أنّ الدأب المشبه والمشبه به هنا، فأمّا الأوّل أو مغاير له؛ فعلى الأوّل يكون تكريرًا للتأكيد ،وليس تكريرًا صرفًا لِمَا فيه من الزيادة والتغيير؛ لأنّه يدلّ على أنّهم كفروا نعمه، وهو مربيهم المُنْعِم عليهم بجميع النّعم كما يدلّ عليه لفظ الرب، ولذا لم يقل كذّبوا ولا بآياته، وفيه بيان للأخذ بالإهلاك والإغراق. وقيل لأنّ الآيات نِعَم ،فتكذيبها كفران بها ،و أيضًا الرب مفيض النّعم فتكذيب آياته كفران لنعمه ،والأوّل أولى فتدبر.

قوله: (وقيل الأوّل لتشبيه الكفر والأخذ إلخ) فيتغاير التشبيهان ولا يكون تأكيدًا، ذُكِرَ في الفرائد هذا ليس بتكرير لأنّ معنى الأوّل حال هؤلاء كحال آل فرعون في الكفر فأخذهم، و آتاهم العذاب ،ومعنى الثاني حال هؤلاء كحال آل فرعون في تغييرهم النّعم، وتغيير الله حالهم بسبب ذلك التغيير، وهو أنّه أغرقهم بدليل ما قبله، وقيل إنّ النظم يأباه ؛لأنّ وجه التشبيه في الأوّل كفرهم المترتب عليه العقاب فينبغي أن يكون وجهه في الثاني قوله (كذّبوا)إلخ ؛لأنّه مثله إذ كل منهما جملة مبتدأة بعد تشبيه صالحة لأن تكون وجه الشبه فتحمل عليه، كقوله تعالى:(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ) [سورة آل عمران، الآية: 59] ،وأمّا قوله: { ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ } [سورة الأنفال، الآية: 53] إلخ ؛فكالتعليل لحلول النكال معترض بين التشبيهين غير مختص بقوم ،فجعله وجهًا للتشبيه بعيد عن الفصاحة، وهذا وجه تمريضه فتأمّل. والمراد ب(كلٌ كانوا ظالمين)، كل من كفر وكذب بآيات الله أو المراد به آل فرعون وكفار قريش؛ لأنّ ما قبله في تشبيه دأب كفرة قريش بدأب آل فرعون صريحًا وتعيينًا، ويكفي مثله قرينة لذلك ،فلا يرد ما قيل: إنّه لا وجه للتخصيص مع أنّ السياق يقتضي شموله للمشبه والمشبه به، أو للمشبه به، وهم آل فرعون ومن قبلهم (الخفاجي، ج493/4).

من خلال عرض كلام الشهاب السابق تبيّن أنّه علّل دلالة التعبير بالكفر والأخذ،ودلالة استبدال لفظ الجلالة (الله) ب(ربهم)،وتمريض القول القائل بأنّ تغيير التشبيهين ليس تكريرًا لأنّ النظم يأباه.كذلك المراد بلفظ كل طبقًا للسياق.وكذلك دلالة التكرير.

فَأَمَّا الْمُخَالَفَةُ بَين كَذَّبُوا وكَفَرُوا ؛فَلِأَنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ شَارَكُوا الْمُشْرِكِينَ فِي الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، وَفِي جَحْدِ دَلَالَةِ الْآيَاتِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ ،وَعَلَى

صِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذُكِرُوا هُنَا ابْتِدَاءً بِالْأَفْظَعِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ ،فَعُبِّرَ بالْكفْر بِالْآيَاتِ عَن جحد الْآيَات الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الْكُفْرَ أَصْرَحُ فِي إِنْكَارِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ عُقِّبَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِالَّتِي بَعْدَهَا، فَذُكِرَ فِي الَّتِي بَعْدَهَا التَّكْذِيبُ بِالْآيَاتِ، أَيِ التَّكْذِيبُ بِآيَاتِ صِدْقِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَجَحْدُ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ.

إذن التَكْرِيرُ لِقَصْدِ التَّأْكِيدِ وَالتَّسْمِيعِ، تَقْرِيرٌ لِلْإِنْذَارِ وَالتَّهْدِيدِ، وَخُولِفَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ تَفَنُّنًا فِي الْأُسْلُوبِ، وَزِيَادَةً لِلْفَائِدَةِ، بِذِكْرِ التَّكْذِيبِ هُنَا بَعْدَ ذِكْرِ الْكُفْرِ هُنَاكَ، وَهُمَا سَبَبَانِ لِلْأَخْذِ وَالْإِهْلَاكِ وقد آل الأخذ إلى الإهلاك، وَزِيدَ الْإِهْلَاكُ بَيَانًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى آلِ فِرْعَوْنَ بِأَنَّهُ إِهْلَاكُ الْغَرَقِ (ابن عاشور،1984م،ج10/43و46).

ويوضح زكريا بن محمدالأنصاري،وهو من العلماء الذين اهتموا بعلم المتشابه القرآني دلالة التكرير بقوله:" كرَّره لأنَّ الأول إخبار عن عذابٍ لم يمكّنِ اللهُ أحدًا من فعله، وهو ضربُ الملائكة وجوههم وأدبارهم، عند نزعِ أرواحهم.

والثاني: إخبارٌ عن عذاب مكَّن اللهُ النَّاس من فعلِ مثله، وهو الإهلاك والإغراق.

أو معنى الأول " كدأبِ آلِ فرعون " فيما فَعَلوا، والثاني " كدأب آلِ فرعون " فيما فُعِلَ بهم.

أو المرادُ بالأول كفرهم بالله، وبالثاني تكذيبهم الأنبياء (الأنصاري،ص222).

وقال تعالى:(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ)(التوبة:55)

ثم قال تعالى:(وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ)(التوبة:85)،فما دلالة هذا التكرير؟

ذكر البيضاويّ أنّ التكرير للتأكيد،والأمر حقيقٌ به؛فإنّ الأبصار طامحة إلى الأموال،والأولاد والنفوس مغتبطة عليها،ويجوز أنّ تكون هذه في فريق غير الأوّل (الخفاجي،ج4/ 616).

وقوله حقيق به أي بالتأكيد بالتكرير لعموم البلوى بمحبتها ،والإعجاب بها.كما استدلّ الشهاب بقول الفارسيّ بأنّها ليست للتأكيد؛لأنّ تيك في قوم،وهذه في آخرين.وقد تغاير نطقهما فهنا ولا بالواو،ولمناسبة عطف نهي على نهي قبله في قوله تعالى:(ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبدًا....)(التوبة:84) فناسب الواو،وهناك بالفاء لمناسبة التعقيب لقوله قبله:(ولا ينفقون إلا وهم كارهون)(التوبة:54) ،أي للإنفاق فهم معجبون بكثرة الأموال والأولاد فنهى عن الإعجاب المتعقب له،وهنا وأولادهم دون لا ؛لأنّه نهي عن

الإعجاب بهما مجتمعين،وهناك بزيادة لا ؛لأنّه نهي عن كلّ واحد واحد،فدلّ مجموع الآيتين على النهي عن الإعجاب بهما مجتمعين ومنفردين،وهنا أن يعذبهم وهناك ليعذبهم بلام التعليل،وحذف المفعول،أي إنّما يريد اختبارهم بالأموال والأولاد،وهنا المراد التعذيب،فقد اختلف متعلق الإرادة فيهما ظاهرًا،وهناك في الحياة الدنيا،وهنا في الدنيا تنبيهًا على أنّ حياتهم كلا حياة فيها،وناسب ذكرها بعد الموت، فكأنّهم أموات أبدًا،ومنه تعلم أنّه يصح في التأبيد معنى آخر (الخفاجي،ج616/4). وبالرغم من التشابه بين الآيتين إلا أنّ هناك فروقًا كما بيّن الفارسي؛ فالآية الأولى :بالفاء،وتكرار(وَلا)،وباللام في (ليعذِّبهم)،وبلفظ الحياة. والآية الثانية:بالواو،وسقوط(لا)،و(أَنْ) موضع اللام.

ويوضح لنا ابن جماعة وهو من العلماء الذين اهتمّوا بالكشف عن دلالات علم المتشابه القرآني أو اللفظي دلالات هذه الفروق،حيث يرى أنّ الآية الأولى ظاهرة في قوم أحياء،والثانية في قوم أموات.وأمّا الفاء في الأولى؛فلأنّ ما قبلها أفعال مضارعة تتضمن معنى الشرط؛كأنّه قيل:إن اتصفوا بهذه الصفات من الكسل في الصلاة،وكراهية النفقات فلا تعجبك أموالهم،الآية.

والآية الثانية:تقدمها أفعال ماضية،وبعد موتهم،فلا تصلح للشرط فناسب مجيئها بالواو.

وأمّا قوله تعالى: (وَلَا أَوْلَادُهُمْ) فلمّا تقدّم من التوكيد في قوله: (إِلَّا وَهُمْ) ، وفي قوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَ) إلى (وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا) ، فناسب التوكيد في قوله تعالى:(وَلَا أَوْلَادُهُمْ) بخلاف الآية الثانية.

وأمّا (اللام) في الأولى، و (أن) في الثانية ؛فلأنّ مفعول الإرادة في الأول محذوف، واللام للتعليل تقديره: إنّما يريدالله ما هم فيه من الأموال والأولاد؛ لأجل تعذيبهم في حياتهم بما يصيبهم من فقد ذلك، ولذلك قال: (وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)(التوبة:55)،ومفعول الإرادة في الآية الثانية " أن يعذبهم " ؛لأنّ الأعمال المتقدمة عليه ماضية ولا تصلح للشرط ولذلك قال:(وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ)(التوبة:84)

وأمّا: (الدنيا) في الثانية ؛فلأنّها صفة للحياة فاكتفى بذكر الموصوف أولًا عن إعادته ثانيًا (ابن جماعة،1990،ص196، والغرناطي،ص231و232، والأنصاري،1983م، ص232).

الخاتمة:

ينتهي هذا البحث إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- التكرار في القرآن الكريم كلّه معجز،وهو أسلوبٌ راق من أساليب البلاغة والفصاحة.

- من خصائص التكرار في القرآن لا يُمل،ولا يُسئم،ولكن كلّما قرأته أو طالعته لم يزدك إلا جمالًا.

- وحدة السياق شرط للتكرار،فإذا اختلف السياق فلا تكرار.

- يسهم التكرار اللفظي في تتابع النص وترابطه واستمراريته.

- التكرار في القرآن محكم،له وظائف دلاليةو دينية وأدبية ونصيةو جمالية .

-لابدّ للمفسر من ربط الجمل القرآنية المكرّرة فيما بينها،وإشراكها مع سوابقها ولواحقها ومراعاة المقام؛ليتحقق لديه التفسير الواضح الذي يقرّب المعنى،ويوضح الفكرة،ويعطي دلالات حقيقية تواصلية.

-التكرار لا يمسّ القصة القرآنية برمّتها،وإنما بعض حلقاتها،بأسلوب رائع،وتعبير دقيق يحملنا إلى الانسجام معها،ولا يراد به الإعجاز القرآني بقدر ما يراد به تقرير المعاني،وتثبيتها في الأنفس،وهذا أوضح في التحدّي،وأبلغ في الإعجاز.

- ينبغي أن يكون اللفظ المكرّروثيق الصلة بالمعنى العام للسياق الذي يرد فيه.

- استطاع الشهاب في حاشيته الكشف عن أغراض التكرار،ومنها الاستهزاء،والتأكيد،والتقرير،والتنبيه،والتحذير،والاستبعاد،والتعجب.

- اهتمّ الشهاب بتوضيح الفروق الجوهرية بين مجموعة من المتشابهات اللفظية في ضوء السياق القرآني.

- الشهاب لا يسلّم بكلّ ما يذكره البيضاوي،وإنّما ينتقده،وقد اتضح ذلك في معالجته لشاهد الأنفال،في قوله تعالى(ليحق الحقّ ويبطل الباطل)،وبيّن أنّه ليس بتكرير.

- كما ردّ الشهاب شبهة بعض الملاحدة الطاعنين في كتاب الله تعالى في سياق حديثه عن قصة نبي الله صالح مع قومه.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني،(ت:637هـ)،*المثل السائر*،تحقيق بدوي طبانة،وأحمد الحوفي، القاهرة ،دار نهضة مصر.

- ابن جماعة،بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي(ت:733هـ)، 1990م،*كشف المعاني في المتشابه من المثاني*،الطبعة الأولى،تحقيق: عبد الجواد خلف، المنصورة،دار الوفاء.

- ابن عاشور،محمد الطاهر بن محمد ،التحريروالتنوير،الدارالتونسية،1984م ،تونس.

-ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين،1989م ،لسان العرب، ،بيروت،لبنان، دار صادر ، مادة(كرر).

-ابن النقيب، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي، (ت:698هـ)، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن؛المنسوب خطأ إلى ابن القيم الجوزية،الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، الطبعة الأولى ،1327هـ،-1909م ،مطبعة السعادة.

-أبو غزالة، إلهام ،وحمد،علي خليل ،1999م،مدخل إلى علم لغة النص.تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجر اند،وولفجانج دريسلر،ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد ،والسبكي،زين الدين بن محمد ،1983م،فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن،الطبعة الأولى،تحقيق: محمد علي الصابوني ،بيروت،لبنان،دار القرآن الكريم.

- الخطابي،محمد ،2006م،لسانيات النص،مدخل إلى انسجام الخطاب،ط2، الدار البيضاء،المغرب ، المركز الثقافي العربي.

- *الخفاجي،شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر،(ت:1069هـ)،حاشية الشهاب الخفاجي المسمّاة عناية القاضي وكفاية الراضي،على تفسير القاضي البيضاوي،الإمام أبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر،(ت:691هـ)،الطبعة الأولى،1997م،ضبط:عبدالرزّاق المهدي،بيروت،لبنان،دار الكتب العلمية.

- الرازي،زين الدين محمد بن أبي بكر،(ت:666ه)، 1999م ،مختار الصحاح، تحقيق:يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت،صيدا ،المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ،مادة(كرر).

- الزركشي،1957م ،البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية.

- الزمخشري،1407ه،أبو القاسم محمود بن عمرو ،تفسير الكشافعن حقائق غوامض التنزيل،ط 3 ،دار الكتاب العربي،بيروت.

- السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن،2006م،الإتقان في علوم القرآن،تحقيق:أحمد بن علي، القاهرة، دار الحديث.

- الطبري،محمد بن جرير،(ت:310ه)،2000م،تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن،تحقيق:أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة.

- الطبطبائي،عبد المحسن أحمد ،منظومة الجمل القرآنية المكررة في ضوء السياق والمعنى، دراسة نصية دلالية،مجلة رسالة المشرق،ع5،كلية الآداب،جامعة تكريت،ص15، لم يذكر سنة النشر.

- الغرناطي،أبو جعفرأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي،ت(708ه)،ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل،وضع حواشيه عبدالغني محمد علي الفاسي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،دط.

- الفقي،صبحي إبراهيم ، 2000م،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق على السور المكية ،القاهرة، دار قباء.

- الكرماني،محمود بن حمزة بن نصر،أبو القاسم برهان الدين الكرماني،ت(505ه)،أسرار التكرار في القرآن المسمّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان،تحقيق عبدالقادر أحمد عطا،دار الفضيلة.

- النعماني،أبو حفص سراج الدين عمر بن عليّ الحنبليّ الدمشقيّ (ت:775ه)، 1998م، اللباب في علوم الكتاب،الطبعة الأولى،تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،والشيخ علي محمد معوض،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.

- تفسير الكشاف، دار الكتب العلمية،بيروت،ط3، 1407ه، ج200/2.حيث ذكر أنّ قوله تعالى(لِيُحِقَّ الْحَقَّ) يتعلق بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك، ما فعله إلا لهما. وهو إثبات الإسلام وإظهاره، و إبطال الكفر ومحقه.

- زروقي، عبد القادر علي،2016م،جماليات التكرار ودينامية المعنى في الخطاب

الشعري،نماذج من شعر محمد بلقاسم، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،ع 25، ص137.

- زقزوق،محمود حمدي ، 2004م، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، ط2،القاهرة.

- شبل،عزة،2007م،علم لغة النص النظرية والتطبيق،القاهرة، مكتبة الآداب .

- طبانة بدوي، 1997م ،معجم البلاغة العربية، ط4، جدة، السعودية، دار المنار.

- عبد اللطيف، محمد حماسة ،الإبداع الموازي،التحليل النصي للشعر،2001م ،دار غريب،القاهرة.

- عبد المجيد،جميل ،1998م ،البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية،الهيئة العامة للكتاب، و مبروك،جودة،2008م،التكراروتماسك النص،قصائد القدس لفاروق جويدة نموذجًا، الطبعة الأولى ، القاهرة، مكتبة الآداب.

- عبد المقصود،حسن محمد ، 2010م ،التكرار في سورة الرحمن،مجلة فكر و إبداع،القاهرة،ج60، نوفمبر ، ص13.

- مصلوح،سعد، 2003م،في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية،آفاق جديدة، الكويت، مجلس النشر العلمي.

- موسى ،أيمن محمود ، 2015م،في لسانيات النص، الطبعة الأولى،القاهرة،عالم الكتب.

- منكل،يارزمان جنت كل ،2011م، التكرار في القرآن الكريم ،وأسراره البلاغية،دكتوراه،الجامعة الإسلامية إسلام آباد،كلية اللغة العربية.